



يمتلك عددا لا يأس به من العقارات ومصادر الدخل وتجارته رائجة رابحة ودخله اليومي ممتاز ويزداد مع مرور الأيام ومع ذلك لا يجد الاستقرار المادي الذي يبحث عنه في حياته ....في الوقت الذي يعيش جاره المحدود الدخل حياة هنية مستقرة ماديا ومعنويا .

رزقه الله سبعة من الأولاد لا يكاد يشعر بتأثيرهم في حياته فهو يفتقد إلى برهם وإحسانهم وسؤالهم ويحزن لانشغالهم عنه بشؤونهم الخاصة في حين يلحظ تفاني أولاد قريبه الثلاثة في خدمة والدهم وبره وتلبية جميع متطلباته .

تمر عليه الساعات والأيام دون أن تكون له إنجازات وأعمال تذكر أو تتناسب مع الوقت الكثير المهدى بينما ينجز صديق له الكثير من الأعمال في وقت قليل .

قد لا يكفي مقال أو حتى كتيبات لذكر وتعداد صور المقارنة بين من فقد البركة في ماله و ولده و وقته وعلمه وعمله و..... وبين من لا زال يتمتع بشيء من تلك الجوهرة المكنونة والكنز العظيم والنعمـة الفريـدة التي يفتقدـها الكـثير من المسلمين في حياتـهم الـيـوم .

البركة حسب تعريف أهل العلم هي : ثبوت الخير الإلهي في الشيء كما قال الراغب الأصفهاني ، وقال ابن القيم رحـمه الله : "البرـكة حـقـيقـتها التـبـوتـ والـلـزـومـ والـاسـتـقـرارـ" ، وجـاءـ في لـسانـ العـربـ : الـبـرـكـةـ النـمـاءـ وـالـزـيـادـةـ . وـالـتـبـرـيـكـ : الدـعـاءـ لـلـإـنـسـانـ أوـ

غيره بالبركة يقال : بَرَّكْتُ عَلَيْهِ تَبَرِّيْكًا أَي قلت له : بارك الله عليك . وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه : وضع فيه البركة

كثيراً ما يقرع أسماعنا حديث الآباء والأجداد عن البركة في الزمن الجميل وتأوهاتهم خلال ذكرهم لنماذج تلك البركة في الأجسام والأبدان حيث القوة والفتوة والصلابة حتى في سن متأخرة ، وفي العلم من حيث انتشاره وكثرة علم رجاله وشدة ورعيهم في أخذه ومنتهاي إخلاصهم في تلقيه وغاية حرصهم على تبليغه ، وفي المال والأولاد والزرع والضرع والأوقات و.....

ليس سر البركة التي أنعم الله تعالى بها على أجيال السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان خافيا على كل ذي بصيرة وعلم ، كما أن أسباب قلة البركة التي يعاني منها الكثير من أبناء زماننا هذا باتت أشد وضوحاً من الشمس في رابعة النهار .

إن تقوى الله تعالى أولى وسائل استجلاب البركة وأهم سبب من أسباب تنزليها على الناس أفرداً وأمماً ، ويكفي دليلاً على ذلك قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَىٰ آمَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَعَنَّا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } الأعراف/96 ، كما أن غياب تقوى الله عن حياة المسلمين أفراداً ومجتمعات هو بالتأكيد أهم أسباب فقدان البركة وزوالها .

وفي الوقت الذي أرشدنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مفتاح آخر من مفاتيح استنزال البركة والتنعم بالإكثار من الدعاء والطلب من الله الذي يملك وحده فضل التكرم بإنزال البركة على حياتنا وحياة غيرنا من نحب ، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ل أصحابه بالبركة في طعامهم وشرابهم وزواجهم ..... ففي الحديث عن عبد الله بن يسر ، قال : نَزَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي فَقَرِيْبَتِنَا إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَّلَهُ ، ثُمَّ أَتَى بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُ وَيُلْقِي التَّوْيَ إِلَيْصَبْعِيهِ جَمَعَ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَىَ .... ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرَبَهُ ، ثُمَّ نَأَوَّلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ، قال : فَقَالَ أَبِي وَأَخْذَ بِلِجَامِ دَائِتِهِ : ادْعُ لَنَا فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ( اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتُهُمْ ، وَأَغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ ) سنن الترمذى برقم/3576 وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو لمن تزوج من أصحابه بالبركة ..... لا نجد من المسلمين إقبالاً على هذا الباب الواسع من أبواب استجلاب البركة وتنزليها كما ينبغي .

وبينما دلنا المصطفي صلى الله عليه وسلم على سبب فريد من أسباب عودة البركة إلى حياتنا من خلال قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ( مَنْ سَرَّهُ اللَّهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثْرِهِ فَلَيَصِلْ رَحْمَهُ ) رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه برقم/2067 ...يمكن ملاحظة كثرة انتشار قصص قطع الأرحام وتخاصم الأهل وتدابر الأقارب وإعراض الإخوة .

كثيرة هي النماذج والأمثلة من سيرة السلف الصالح التي تشير إلى أثر البركة في سائر شؤون حياتهم ، ولعل في سيرة الإمام

النبووي – وأمثاله من أئمة الأمة – ما يؤكد تلك الحقيقة الساطعة المتعلقة بمدى أثر البركة في حياة أبي مسلم ، فقد ألف هذا الإمام الفذ من الكتب والمؤلفات خلال سنوات عمره التي لم تتجاوز النيف والأربعين عاماً ما لا يقدر عليه العشرات ممن أوتوا أضعاف عمره رحمة الله ، كما أن القبول الذي كتبه الله تعالى لمؤلفات هذا العالم الجليل – كالأربعين النووية والأذكار ورياض الصالحين وغيرها – رغم وجود العشرات من الكتب والمؤلفات في بابها لغيره من العلماء ما يؤكد أثر البركة حين يتفضل الله تعالى بها على عبد من عباده .

المصادر:

المسلم